

كتاب للراحل باسل فليحان الأكاديمي لا السياسي يحدد شروط تحرير التجارة العربية في عصر العولمة

عبدالرحمن أياس

يلعب الإنسان، أي إنسان، أدوارا مختلفة في حياته، بل أحيانا في كل مرحلة من حياته، ويواجه تحدي التوفيق بينها. وربما يكون التوفيق أصعب ما يكون حينما يجد الأكاديمي، أو استطرادا المثقف، نفسه في موقع الفرار السياسي، فكيف إذا كانت الساحة السياسية المعنية لبنان بنشعباتها وتناقضاتها، وهي التي يرى كثيرون أنها لم تخرج بعد من مرحلة التأسيس للدولة الحديثة، على رغم مرور 63 سنة على قيام لبنان المستقل .

كان باسل فليحان، الذي توفي متأثرا بالجراح التي أصيب بها لدى انفجار الشحنة الضخمة التي أودت بالرئيس رفيق الحريري في عام 2005، بعد معاناة امتدت أسابيع، أكاديميا في الجامعة الأميركية في بيروت بين عامي 1994 و2000، وهي الجامعة التي تخرج فيها بامتياز في عام 1984، قبل أن يتابع دروسه في جامعتي يال وكولومبيا المرموقتين في الولايات المتحدة

وإلى جانب عمله الأكاديمي، عمل بين عامي 1993 و1999 مستشارا اقتصاديا لوزير المال اللبناني ومديرا للمشروع المشترك بين البنك الدولي وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي المخصص لتعزيز إيرادات خزينة الدولة وتطوير إدارة المال العام

وفي عام 2000، تجاوز ما يمكن تسميته المنطقة الرمادية بين العمل الأكاديمي والعمل السياسي إذ انتخب نائبا في البرلمان اللبناني وعينه الحريري مستشارا اقتصاديا له قبل أن يعينه وزيرا للاقتصاد في حكومته قبل الأخيرة. وخلال عمله وزيرا، عمل على تسريع انضمام لبنان إلى منظمة التجارة العالمية ووقع نيابة عن لبنان وثيقة انضمامه إلى الشراكة الأوروبية - المتوسطية

واليوم، وبعد أكثر من سنة على غيابه المفجع، يطل علينا فليحان الأكاديمي من جديد في كتاب أصدرته 'دار النهار' البيروتية، بالتعاون مع 'مؤسسة باسل فليحان' التي أخذت على عاتقها حفظ تراث الرجل وتعزيز الثقافة الاقتصادية في العالم العربي. ويحمل الكتاب الصادر بالعربية والإنكليزية عنوانا لافتا: 'تحرير التبادل التجاري في العالم العربي: النظام المتعدد الأطراف مقابل النظام الإقليمي'. واللافت أن العمل يتناول شروط إنشاء المنطقة العربية للتجارة الحرة، التي لا تزال حبرا على ورق والتي كانت من الأحلام التي دغدغت مخيلة الحريري وجهد لتحقيقها .

الكتاب في الواقع دراسة تبحث في شكل موجز ولكن مكثف في اتفاقات تحرير التجارة المتعددة الأطراف والثنائية والإقليمية في المنطقة العربية، وتستعرض السبل التي يمكن للعرب أن يواجهوا من خلالها الانفتاح المتزايد في نظام التجارة العالمي .

ويحاول فليحان استقصاء نتائج المؤتمر الوزاري الخامس لمنظمة التجارة الدولية الذي عقد في عام 2003 في مدينة كانكون المكسيكية، وسبل تعزيز اندماج البلدان العربية، على الصعيدين الفردي والجماعي، في النظام التجاري العالمي، مع عرض للنهج الذي تتبناه الدول العربية في مفاوضاتها مع المنظمة بعد المؤتمر .

أول ما خطر في ذهني حين تفحصت الكتاب كان كتاب الصحافي الراحل سمير قصير، الذي قضى اغتيالا في 2005، وقد صدر بعد رحيله، المفجع أيضا، حاملا عنوان 'تأملات في شقاء العرب'. وليس التشابه فقط في الحجم الصغير لكل من الكتابين، بحيث بدا أقرب إلى الوصية، بل يتجاوز ذلك إلى تسليط الضوء على الواقع المزري للعرب وتقديم قراءة مكثفة له، قصير في السياسة والاجتماع، وفليحان في الاقتصاد، والاثنتان في الإدارة السيئة للشأن العام. لقد ترك فليحان لنا كتابا يعرض الواقع السيئ وسبل الانتقال إلى مستقبل أفضل فلنقرأه هو و'تأملات' قصير بتمعن .

الموضوع: اقتصاد

المصدر: الحياة
